IUGJIS
Vol 27, No 3, 2019, pp 123 - 148

ISSN 2410-5201

مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2018-04-26)، تاريخ قبول النشر (2018-05-28)

مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن دراسة تطبيقية

د. توفيق علي علي مراد زبادي [1]،*

[1] أستاذ مساعد في التفسير وعلوم القرآن/ معهد الدراسات القرآنية للبنات بمكة المكرمة

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: towfeekali@hotmail.com

الملخص:

هذا البحث يتعرض لبيان فكرة جديدة لم يتناولها أحد بدراسة مستقلة وهي مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن، وقد قمت بدراسة تطبيقية على سور(البقرة - الرعد - التحريم).

وكانت أهم التوصيات:

1.القيام بدراسة علمية في مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن على مستوى القرآن كله.

2.أن يتبنى قسم القرآن وعلومه القيام بدراسة أفانين السورة القرآنية من الكلمات، والجمل، والقصص، والأمثال، والحكم، والأحكام، والمواعظ، وأسماء الله الحسنى، ودلالتها على مقصد السورة؛ حسب تقسيم سور القرآن (الطوال- المثاني- المئين - المفصل).

كلمات مفتاحية: مناسبة - الأمثال - مقصد - السور

The appropriate proverbs for the purposes of the Koran An Empirical Study

Abstract

This research is subjected to the statement of a new idea was not addressed by anyone independent study is the appropriate proverbs for the purposes of the Koran, and I have studied applied to the suras (Al-Baqarah- Ar-Ra'd - At-Tahreem).

The most important recommendations were:

1 .Carrying out a scientific study on the occasion of the proverbs for the purposes of the Qur'aan at the level of the whole Quran.

2. To adopt the Quranic section and its sciences to study the Quranic verses of Quranic verses, sentences, stories, proverbs, rulings, preaching, and the names of Allah, and their interpretation of the purpose of Sura

Keywords: Occasion – Proverbs – Purpose – suras

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا، والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،،،

فمن أساليب القرآن ما يسمى بالتفنن وهو بداعة تنقلاته من فن إلى فن؛ وذلك التفنن مما يعين على استماع السامعين ويدفع سآمة الإطالة عنهم، ومن أبدع أساليب التفنن ضرب الأمثال؛ لذا خصّها الله ﷻ بالذكر؛ لأجل لفت البصائر للتدبُّر في ناحية عظيمة من نواحي إعجازه وهي بلاغة أمثاله، وإنما يحصل التدبُّر في الأمثال بإعمال المتدبِّرين عقولهم في صورة الممثَّل به، وفهم أجزائه، وما يقابلها من حال الممثَّل له؛ فيحصل بذلك فهمها وإدراك المراد بها، واستخلاص العبر والفوائد منها.

ومن تأمل سور القرآن؛ وجد أن كل سورة لها مقصد يشد بقية موضوعاتها جميعاً، كعمود الخيمة الذي يشدها إليه، وكعقد اللؤلؤ الذي يجمع حبات اللؤلؤ، ولها أسلوبها الخاص في معالجة هذا المقصد، وتكون جميع كلمات تلك السورة وجملها، وقصصها، وأمثالها، وأحكامها، ومواعظها، وأسماء الله الحسنى فيها؛ تحقق هذا المقصد بصورة مبدعة، ونظم آخَّاذ لأصحاب العقول النَيِّرة.

وفي هذا البحث سوف نتناول مناسبة الأمثال لمقاصد بعض سور القرآن؛ كنموذج تطبيقي، وكيف أن المثل الذي ضربه الله يتمم المعنى ويزيده بياناً وإيضاحًا، ويحوله من المعقول إلى المحسوس؛ ليجمع للمتدبر فيها بين علم اليقين وعين اليقين.

نسأل الله القبول الحسن

أولاً: مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في الإجابة على السؤال الآتي:

ما مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن؟.

ثانياً: أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن **(مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن)**، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ما المقصود بـــ (المناسبة، والأمثال، ومقاصد السور)؟

2- ما أهمية ضرب الأمثال في القرآن؟

3- ما مقصد سورة البقرة ومناسبة الأمثال فيها لمقصدها؟

4- ما مقصد سورة الرعد ومناسبة الأمثل فيها لمقصدها ؟

5- ما مقصد سورة التحريم ومناسبة الأمثال فيها لمقصدها ؟

ثالثاً: أسباب اختيار الموضوع:

تحدث جمع من العلماء والباحثين عن الوحدة الموضوعية للسورة وكيف أن السورة تخدم موضوعًا رئيسًا[1]، وإنْ تعدَّدت الموضوعات الفرعية فيها، لكنها مشدودة إلى موضوع واحد تأخذ آياته بعنق بعضها لتحقيق الموضوع الرئيس، ولم يتطرق أحدٌ لبيان **(مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن)**، – فيما أعلم – وإن وُجد له إشارات في كتب التفسير؛ لذلك عزمت مستعينًا بالله لإبراز هذا الموضوع.

رابعا: أهمية الموضوع

1- خدمة كتاب الله الكريم.

2- بيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيان معانيه.

3- إبراز مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن

خامسًا الدراسات السابقة

لم أجد أحدًا – حسب علمي– من أفرد هذا الموضوع بدراسة مستقلة.

سادسًا منهج البحث

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث.

أما المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وكانت خطة البحث على النحو الآتي

المقدمة، وتحدثت فيها عن مشكلة البحث، وأهداف البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهمية، الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج البحث.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات البحث

المطلب الثاني: أهمية ضرب الأمثال في القرآن.

المبحث الثاني: نماذج من الأمثال دراسة تطبيقية

(1) من هؤلاء الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه النبأ العظيم، والشيخ محمود حجازي في كتابه الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، والأستاذ سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، والشيخ سعيد حوى في تفسيره الأساس في التفسير.

المطلب الأول: مناسبة الأمثال في سورة البقرة لمقصدها

المطلب الثاني: مناسبة الأمثال في سورة الرعد لمقصدها

المطلب الثالث: مناسبة الأمثال في سورة التحريم لمقصدها

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

الفهارس

المبحث الأول التعريف بمصطلحات البحث وبيان أهمية ضرب الأمثال في القرآن

المطلب الأول التعريف بمصطلحات عنوان البحث

1. المناسبة في اللغة

نسب

النون والسين والباء؛ كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيءٍ منه النسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به [1].

2. المناسبة في الاصطلاح

هي : "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني"[2].

وقيل : هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه في كتاب اللّه تعالى.

تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[3].

3. المثل في اللغة

مثل: الميم والثاء واللام أصل صحيح، يدل على مناظرة الشيء للشيء[4].

والمَثَلُ: الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلًا، فيجعل مِثْلَه[5].

4. المثل في الاصطلاح

عبارة موجزة بليغة، شائعة الاستعمال، يتوارثها الخلف عن السلف، تمتاز بالإيجاز، وصحة المعنى، وسهولة اللغة، وجمال جرسها[6].

5. السُّورَةُ في اللغة

المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهًا بها؛ لكونه محاطًا بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها منزلة كمنازل القمر[1].

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة،: 423/5.

(2) العربي، القاضي أبي بكر ابن العربي، سراج المريدين:2 / 108.

(3)مسلم ، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي: ص58.

(4) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (296/5).

(5) ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب: (610/11).

(6) أبو علي، توفيق، الأمثال: ص41.

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة، ومنزل عال؛ يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى، ومنزل آخر؛ إلى أن يستكمل القرآن[2].

6. **السورة في الاصطلاح**

قرآن يشمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات[3].

7. **المقصد في اللغة**

(قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على **إتيان شيء وأمه**، والآخر على اكتناز في الشيء[4].

والمعنى الأول هو المقصود.

والقصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد. وقوله تعالى{وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}[النحل:9]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[5]، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها [6].

8. **مقصد السورة :**

هو: مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة، ومضمونها، ويُمثل روحها الذي يسري في جميع أجزائها[7].

فالمقصد هو الجامع لكل موضوعات السورة المختلفة، كما يجمع العُقْد حبات اللؤلؤ، وكما يجمع ساق الشجرة جميع أفرعها وأوراقها.

والمقصود بالعنوان

أوجه ارتباط العبارات الموجزة البليغة الشائعة الاستعمال في السورة بمغزاها الذي ترجع إليه معانيها ومضمونها.

(1) الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن : 434.

(2) الكفوي، أبو البقاء، الكليات: 494.

(3) السيوطي، عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 186.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة :95/5

(5) ابن منظور، لسان العرب: 3/ 353.

(6) نخبة من العلماء، معجم اللغة العربية المعاصرة :3/ 1820.

(7)الربيعة، محمد ، علم مقاصد السور، ص7.

المطلب الثاني

أهمية ضرب الأمثال في القرآن

تأتي الأمثال في أعقاب المعاني؛ لتكسوها أبّهة، وتكسبها منقبة، وترفع من أقدارها، وتضاعف من قواها في تحريك النّفوس لها، وتدعو القلوب إليها، وتعطيها محبّة وشغفًا.

ولضرب الأمثال في القرآن أهمية جليلة، منها:

1- **إبراز خبيات المعاني**

قال الزمخشري – رحمه الله –: "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبيّ"[1].

2- **التأثير في القلوب**

قال الرازي – رحمه الله –: "المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه؛ وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقًا للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح"[2].

3- **إظهار المعقول في صورة المحسوس**

قال أبو حيان– رحمه الله–: "المثل، ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء؛ ليصير في الذهن مساويًا للأول في الظهور من وجه دون وجه"[3].

4- **إدراك الحقائق الخفية وفهم الأمور الدقيقة**

قال أبو السعود– رحمه الله –: "وإن التمثيل ليس إلا إبراز المعنى المقصودِ في معرض الأمرِ المشهود وتحلية المعقولِ بحِلْية المحسوس، وتصويرُ أوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم، واستنزالِه عن معارضتِه للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية وفهمِ الدقائق الأبية؛ كي يتابعَه فيما يقتضيه ويشايعُه إلى ما يرتضيه"[4].

5- **مطابقة ما في العقول بالمشهود فيزداد اليقين**

قال الآلوسي –رحمه الله –:" فلضرب المثل شأن لا يخفى، ونور لا يطفى، يرفع الأستار عن وجوه الحقائق، ويميط اللثام عن محيا الدقائق، ويبرز المتخيل في معرض اليقين، ويجعل الغائب كأنه شاهد، وربما تكون المعاني التي يراد تفهيمها معقولة صرفة، فالوهم ينازع العقل في إدراكها حتى يحجبها عن اللحوق بما في العقل، فبضرب الأمثال

(1) الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف: 1/ 72.

(2) الرازي، أبو عبد الله، تفسير الرازي: 312/2.

(3) أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط: 1/ 122.

(4) العمادي، أبو السعود ، تفسير أبي السعود: 1/ 71.

تبرز في معرض المحسوس، فيساعد الوهم العقل في إدراكها، وهناك تنجلي غياهب الأوهام، ويرتفع شغب الخصام"[1].

6- **سهولة شيوعه بين الناس ليذكرهم بالحال التي قيل فيه**

قال ابن عاشور– رحمه الله –: "وقد اختص لفظ المـــــَثَل بإطلاقه على الحال الغريبة الشأن؛ لأنها بحيث تمثل للناس وتوضح وتشبه سواء شبهت، أم لم تشبه، كما في قوله تعالى: **{**مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ**}** (الرعد: ٣٥)، وبإطلاقه على قول يصدر في حال غريبة، فيحفظ ويشيع بين الناس؛ لبلاغة وإبداع فيه، فلا يزال الناس يذكرون الحال التي قيل فيها ذلك القول تبعًا لذكره، وكم من حالة عجيبة حدثت ونسيت؛ لأنها لم يصدر فيها من قول بليغ ما يجعلها مذكورة تبعًا لذكره فيسمى مثلًا "[2].

ولهذه الأهمية؛ كثرت الأمثال في القرآن الكريم؛ ليستفيد منها التربويون، والعلماء، والخطباء، والدعاة.

(1)الألوسي، محمود، روح المعاني: 1/ 165.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: 1/ 303.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

نماذج من الأمثال ومناسبتها لمقاصد السور

المطلب الأول

الأمثال في سورة البقرة ومناسبتها لمقصدها

هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطًا شديدًا، فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها – ﷺ– وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى، وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد اللّه بخصوصها، وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم – عليه السلام– صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم[1].

مقصد السورة :

أقوال العلماء في مقصدها:

يقول البقاعي– رحمه الله – :" مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هُدَى؛ ليُتَّبَع في كل حال، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه: الِإيمان بالآخرة، ومداره: الإيمان بالبعث، الذي أعربت عنه قصة البقرة، التي مدارها الِإيمان بالغيب[2].

ويقول ابن تيمية رحمه الله– أن مقصد السورة هو:" تقرير أصول العلم، وقواعد الدين"[3].

ويبين الإمام الشاطبي- رحمه الله– هذا المقصد فقال: "لما هاجر رسول الله –ﷺ – إلى المدينة كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة، وهي التي قررت **قواعد التقوى**"[4].

ويقول ابن عاشور – رحمه الله – معظم أغراضها ينقسم إلى قسمين:

1– قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه وعلو هديه وأصول تطهيره النفوس.

2– وقسم يبين شرائع هذا الدين لأتباعه وإصلاح مجتمعهم[5].

وبالتأمل في اسم السورة، وفضائلها، وتاريخ نزولها، والقصص فيها، والنظر في آياتها، وبالنظر في أقوال العلماء الفضلاء نجد أنها تدور حول **(إعداد الأمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة في الأرض)**– من وجهة نظر الباحث– ، وما ذكره علماؤنا

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن : 1/ 28

(2) البقاعي، إبراهيم، مصاعد النظر : 2/ 12.

(3) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى: 14/ 41.

(4) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان : 4/ 257.

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير : 1: 203 .

الأفاضل يُعد من مقومات وشروط الخلافة، كالتقوى، وبيان أصول العلم، أو من ثمار قيامها وتمكينها، مثل: بيان شرائع الدين، والحفاظ على مقاصد شريعة رب العالمين.

أولاً: الأمثال في المنافقين ومناسبتها لمقصد السورة

توحي الإطالة في الحديث عن المنافقين في السورة بضخامة الدور الذي كان يقوم به المنافقون في المدينة؛ لإيذاء المسلمين، ومدى التعب والقلق والاضطراب الذي كانوا يحدثونه.

كما توحي بضخامة الدور الذي يمكن أن يقوم به المنافقون في كل وقت داخل المجتمع المسلم، ومدى الحاجة للكشف عن ألاعيبهم ودسهم اللئيم؛ لذلك زيادة في الإيضاح؛ ضرب الله الأمثال لهذه الطائفة؛ ليكشف عن طبيعتها، وتقلباتها وتأرجحها؛ ليزيد هذه الطبيعة جلاء وإيضاحًا، رحمة بالمؤمنين وعناية بهم؛ لتوقي شرهم وخبثهم.

المثل:

قال تعالى : {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (البقرة: 17– 18)}.

مناسبة ذكر المثل لما قبله من الآيات:

لما جاء بحقيقة صفتهم – صفة المنافقين–عقبها بضرب المثل؛ زيادة في الكشف وتتميمًا للبيان[1]، بجمع المتفرقات في السمع، المطالة في اللفظ، في صورة واحدة؛ لأن للإجمال بعد التفصيل وقعًا من نفوس السامعين[2].

وقال البقاعي – رحمه الله– :" لما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان وثنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان وهم المنافقون، وأمرهم أشد لإشكال أحوالهم والتباس أقوالهم وأفعالهم؛ لا جرم ثنى سبحانه بإظهار أسرارهم وهتك أستارهم في سياق شامل لقسميهم؛ فقبح أمورهم ووهّى مقاصدهم وضرب لهم الأمثال وبسط لهم بعض البسط في المقال[3].

شرح المثل:

شبه الله سبحانه اشتراء المنافقين الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد التبصرة إلى العمى، بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنس بها فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضًا عن الهدى، واستحبابهم الغي على الرشد. وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع[4].

(1) الزمخشري، أبو القاسم، الكشاف : 1/ 72.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: 1/ 302.

(3) انظر: البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر: 1/ 100.

(4) انظر: ابن كثير، أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم:1/ 186.

والتشبيه هاهنا في غاية الصحة؛ لأنهم بإيمانهم اكتسبوا أولًا نورًا ثم بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك النور؛ فوقعوا في حيرة عظيمة، فإنه لا حيرة أعظم من حيرة الدين؛ لأن المتحير في طريقه لأجل الظلمة لا يخسر إلا القليل من الدنيا، وأما المتحير في الدين؛ فإنه يخسر نفسه في الآخرة أبد الآبدين[1].

المثال الثاني للمنافقين

قال تعالى {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ واللّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِين}[البقرة:19].

شرح المثل

تمثيل لحال المنافقين المختلطة بين جواذب ودوافع حين يجاذب نفوسهم جاذب الخير عند سماع مواعظ القرآن وإرشاده، وجاذب الشر من أعراق النفوس والسخرية بالمسلمين، بحال صيب من السماء اختلطت فيه غيوث وأنوار ومزعجات وأكدار[2].

"والصيب تشبيه للقرآن، وأن الظلمات والرعد والبرق تشبيه لنوازع الوعيد بأنها تسر أقوامًا وهم المنتفعون بالغيث، وتسوء المسافرين غير أهل تلك الدار، فكذلك الآيات تسر المؤمنين إذ يجدون أنفسهم ناجين من أن تحق عليهم، وتسوء المنافقين إذ يجدونها منطبقة على أحوالهم"[3].

قال ابن القيم –رحمه الله – " ضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين مثلًا ناريًا ومثلًا مائيًا؛ لما في الماء والنار من الإضاءة والإشراق والحياة، فإن النار مادة النور، والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزل من السماء متضمنًا لحياة القلوب واستنارتها؛ ولهذا سماه روحًا ونورًا وجعل قابليه أحياء في النور ومن لم يرفع به رأسًا أمواتًا في الظلمات، وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي أنهم بمنزلة من استوقد نارًا لتضيء له وينتفع بها وهذا؛ لأنهم دخلوا في الإسلام، فاستضاءوا به، ولم يقل نارهم فإن النار فيها الإضاءة والإحراق فذهب الله بما فيها من الإضاءة وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وتركهم في ظلمات لا يبصرون فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه لا يرجع إليه؛ ولهذا قال (فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ).

ثم ذكر حالهم بالنسبة إلى المثل المائي فشبههم بأصحاب صيب وهو المطر الذي يصوب أي ينزل من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق فلضعف بصائرهم وعقولهم؛ اشتدت عليهم زواجر القرآن ووعيده وتهديده وأوامره ونواهيه وخطابه الذي يشبه الصواعق، فحالهم كحال من أصابه مطر فيه ظلمة ورعد وبرق فلضعفه وخوفه جعل أصبعيه في أذنيه خشية من صاعقة تصيبه[4].

فتأمل طريقة القرآن العجيبة في كيفية التمثيل لأحوال النفوس كأنها مشهد محسوس.

(1) الرازي، أبو عبد الله، تفسير الرازي :2/ 312.
(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: 1/ 302.
(3) المرجع السابق: 1/ 302.
(4) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الأمثال في القرآن: 11

دلالة المثلين على مقصد السورة

من لطف الله بعباده المؤمنين الذين يُعْدَهم لحمل أمانة الخلافة في الأرض وكمال نصحه لهم، وولايته لهم، ودفعه عنهم، وعنايته بهم؛ أن ذكر لهم المثلين للمنافقين؛ للزيادة في كشف صفاتهم وتتميمًا لبيان حيرتهم واضطرابهم في الدين، ويستفاد من ذلك:

1- أن هؤلاء مَثَل لمن كفر نعم الله عليه، وأفضل هذه النعم الهداية إلى الطريق المستقيم؛ فهؤلاء بهذه الصفات وهذه النفسيات المضطربة المتأرجحة ليست أهلاً لحمل أمانة الخلافة، بل هي عدو للخلافة، وسبب من أسباب نزعها.

2- وصفوا بالإفساد، والمفسد لا يصلح لإقامة منهج الله في الأرض.

3- كشف الله خبايهم وصفاتهم؛ ليحذر منهم المؤمنون ولا يغتروا بأقوالهم، وخاصة في بداية تكوين الدولة الإسلامية، فلا يسَوِّدوهم ولا يُؤمِّروهم، روى أبو داود – رحمه الله – عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه– رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل)[1]، والسيد مأخوذ من السؤدد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم والحليم ومتحمل الأذى عن قومه والزوج والرئيس [2].

وقد حصر الله العداوة فيهم، قال تعالى: { هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ } [المنافقون: 4] ، ومثل هذا اللفظ يقتضى الحصر، أى لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد هاهنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم؛ بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية لهم فى هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم فى الدار، ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها؛ فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم– وهم فى الباطن على خلاف دينهم– أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم؛ لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم فى الديار والمنازل صباحا ومساء، يدلون العدو على عوراتهم، ويتربصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر[3].

وهكذا ضاعفت الأمثال من قوة تحريك نّفوس المؤمنين؛ للحذر من المنافقين وتجنب شرورهم.

(1) أبو داود : سنن أبي داود/ الأدب/ لا يقول المملوك ربي وربتي،4/ 295، (4977)، صححه الألباني في المشكاة(4780).

(2) ابن الأثير، أبو السعادات، النهاية في غريب الأثر: (2/ 418).

(3) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين : 402، 408.

ثانياً: المثل في الذين كفروا ومناسبته لمقصد السورة

يصوِّر الله الكافرين الذين يقلدون آباءهم بدون تدبر وتأمل بصورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني! بل هم أضل من هذه البهيمة، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح ، وهم صم بكم عمي.

قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ} (البقرة: 171).

مناسبة المثل لما قبله:

لما حكى الله سبحانه وتعالى عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله؛ تركوا النظر والتدبر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا) [البقرة: 170]؛ ضرب لهم هذا المثل؛ تنبيهاً للسامعين لهم أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين؛ فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام [1].

شرح المثل:

ومثل الذين كفروا وداعيهم كمثل الغنم والناعق بها ذلك أن تجعل هذا من التشبيه المركب وأن تجعله من التشبيه المفرق، فإن جعلته من المركب؛ كان تشبيهاً للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي ينعق بها الراعي، فلا تفقه من قوله شيئًا غير الصوت المجرد الذي هو الدعاء والنداء، وإن جعلته من التشبيه المفرق؛ فالذين كفروا بمنزلة البهائم ودعاؤهم إلى الطريق والهدى بمنزلة النعيق وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق[2].

التشبيه:

شبه تعالى واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي ينعق بالغنم والإبل؛ فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه، ولا تفهم ما يقول[3].

مناسبة المثل لمقصد السورة :

لا يصلح للقيام بمهمة الاستخلاف من أغلق عقله عن الانتفاع بالعلم النافع الذي يؤدي إلى تحقيق منافع للبشرية ورفع شأنها وتكريمها؛ والمجتمع الذي يحيا هذه الحياة، مجتمع مصيره إلى الضياع والبوار؛ لأنه أشبه بالبركة الراكدة، التي لا يلبث ماؤها طويلاً حتى يفسد ويتعفّن! أما المجتمعات التي يكتب لها النماء والازدهار فهي المجتمعات التي يتجدد شبابها بالعمل المادي والعقلي؛ فتفيد من تجارب أسلافها، وتضيف إلى تلك التجارب جديداً يجلو صدأها، وينمّي ذاتها، ويستولد الجديد الكريم منها[4].

(1) الرازي، أبو عبد الله، تفسير الرازي: 5/ 189.
(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الأمثال في القرآن : 50
(3) القرطبي، أبو عبد الله، تفسير القرطبي: 2/ 214.
(4) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآني للقرآن:1/ 188.

فوائد من المثل:

1- قوله **(صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ)**، ولو كانت لهم آذان وألسنة وعيون، ما داموا لا ينتفعون بها ولا يهتدون؛ فكأنها لا تؤدي وظيفتها التي خلقت لها، وكأنهم إذن لم توهب لهم آذان وألسنة وعيون؛ وهذه منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره، ويغلق منافذ المعرفة والهداية، ويتلقى في أمر العقيدة والشريعة من غير الجهة التي ينبغي أن يتلقى منها أمر العقيدة والشريعة[1].

2- الآية صريحة في أن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين.

3- أن المرء لا يكون مؤمناً؛ إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به.

4- ليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقي عقله وتتزكى نفسه بالعلم بالله والعرفان في دينه، فيعمل الخير؛ لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله، ويترك الشر؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته في دينه ودنياه، ويكون فوق هذا على بصيرة وعقل في اعتقاده.

5- من دُعي إلى الرشاد، وذيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه؛ فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، واقتحم النار على بصيرة، واتبع الباطل، ونبذ الحق – أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء.

6- أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد؛ لأن الله ذم الكفار بتقليدهم آبائهم وتركهم اتباع الرسل في قوله: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُون}[الزخرف:23].

7- فرض على العامي الذي لا يستطيع استنباط الأحكام من أصولها أن يسأل أهل العلم، ويمتثل فتوى الأعلم، لقوله تعالى: {فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل:43] .

ثالثاً: المثل في الإنفاق ومناسبته لمقصد السورة

أوسع الله تعالى مقام الإنفاق في سبيل الله؛ بياناً وترغيبًا وزجرًا بأساليب مختلفة وتفننات بديعة؛ فنبهنا بذلك إلى شدة عناية الإسلام بالإنفاق في وجوه البر والمعونة، وكيف لا تكون كذلك وقوام الأمة دوران أموالها بينها، وأن من أكبر مقاصد الشريعة الانتفاع بالثروة العامة بين أفراد الأمة.

المثل الأول

قال تعالى: {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}[البقرة:261].

مناسبة المثل لما قبله من الآيات:

لما أجمل في قوله:{مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً}[البقرة:245]؛ فصّل بعد ذلك في هذه الآية تلك الأضعاف، وإنما ذكر بين الآيتين الأدلة على قدرته بالإحياء والإماتة من حيث لولا ذلك لم يحسن التكليف بالإنفاق؛ لأنه لولا وجود الإله المثيب المعاقب، لكان الإنفاق في سائر الطاعات عبثاً، فكأنه تعالى قال لمن رغبه في الإنفاق قد

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن : 1/ 156.

عرفت أني خلقتك وأكملت نعمتي عليك بالإحياء والإقدار، وقد علمت قدرتي على المجازاة والإثابة، فليكن علمك بهذه الأحوال داعيا إلى إنفاق المال، فإنه يجازي القليل بالكثير، ثم ضرب لذلك الكثير مثلاً، وهو أن من بذر حبة أخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، فصارت الواحدة سبعمائة[1].

شرح المثل:

شبه سبحانه نفقة المنفق في سبيله سواء كان المراد به الجهاد أو جميع سبل الخير من كل بر بمن بذر بذراً فأنبتت كل حبة سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة والله يضاعف بحسب حال المنفق، وإيمانه وإخلاصه وإحسانه، ونفع نفقته، وقدرها ووقوعها موقعها؛ فإن ثواب الإنفاق يتفاوت بحسب ما يقوم بالقلب من الايمان والاخلاص، والتثبت عند النفقة وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه وسمحت به نفسه وخرج من قلبه قبل خروجه من يده فهو ثابت القلب عند إخراجه غير جزع ولا هلع ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفاوت بحسب نفع الإنفاق ومصارفه بمواقعه وبحسب طيب المنفق وذكائه[2].

دلالة المثل على مقصد السورة :

لما كان مقصد السورة (إعداد الأمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة في الأرض)؛ ناسب أن يأتي في السورة بما يحث على الإنفاق في سبيل الله؛ لإعانة الأمة على القيام بأماناتها، وخاصة في مرحلة الإعداد التي تكون فيها في أشد الحاجة للمال لمرحلة البناء؛ ولذلك فرق الله بين من أنفق قبل فتح مكة وبعدها كما قال {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير}[الحديد:10]؛ لذلك كان المقصد الشرعي أن يكون إنفاق المنفق في سبيل الله؛ مراداً به نصر الدين ولا حظ للنفس فيه؛ فذلك هو أعلى درجات الإنفاق وهو الموعود عليه بهذا الأجر الجزيل، ودون ذلك مراتب كثيرة تتفاوت أحوالها[3].

فالإنفاق في سبيل اللّه صنو الجهاد الذي فرضه اللّه على الأمة المسلمة، وهو يكلفها النهوض بأمانة الخلافة في الأرض، وحماية المؤمنين به، ودفع الشر والفساد والطغيان، وتجريده من القوة التي يسطو بها على المؤمنين، ويفسد بها في الأرض، ويصد بها عن سبيل اللّه، ويحرم البشرية ذلك الخير العظيم الذي يحمله إليها نظام الإسلام، والذي يعد حرمانها منه جريمة فوق كل جريمة، واعتداء أشد من الاعتداء على الأرواح والأموال.

المثل الثاني

قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[البقرة:264].

(1) الرازي، أبو عبد الله، تفسير الرازي: 7/ 39.

(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الأمثال في القرآن : 53

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير : 3/ 43.

مناسبة المثلين للآيات التي قبلها

لما وصف الله الذي يتبعه المن والأذى، والذي لا يتبعه المن والأذى؛ شرح حال كل واحد منهما، وضرب مثلاً لكل واحد منهما.

الشرح :

ينهى الله سبحانه وتعالى عباده تعالى لطفًا بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمنّ، "ثم مثَّل حال الكافر الذي ينفق ماله رئاء الناس بحال التراب إيجازاً صفوان عليه تراب يغشيه، يعني يخاله الناظر تربة كريمة صالحة للبذر، فتقدير الكلام عليه تراب صالح للزرع فحذفت صفة ؛ اعتماداً على أن التراب الذي يرقب الناس أن يصيبه الوابل هو التراب الذي يبذرون فيه، فإذا زرعه الزارع وأصابه وابل وطمع الزارع في زكاء زرعه، جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئا؛ وبقي مكانه صلدا أملس فخاب أمل زارعه، ووجه الشبه هو سرعة الزوال وعدم القرار"[1].

فوائد من المثل:

1- المنّ والأذى يبطل الصدقة.

2- يستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ}[الحجرات:2]، فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات[2].

3- في هذه الآية مع قوله تعالى { وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُم}[محمد:33]؛ حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها؛ لئلا يضيع العمل سدى.

4- جملة (وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)؛ تذييل لتحذير المؤمنين من تسرب أحوال الكافرين إلى أعمالهم؛ فإن من أحوالهم المن على من ينفقون وأذاه.

المثل الثالث

قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}[البقرة:265]

مناسبة المثل لما قبله:

لما مثَّل حال المنفق رئاء بالتمثيل الذي مضى؛ أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيل.

والمعنى أن الإنفاق لابتغاء مرضاة الله له ثواب عظيم، وهو- مع ذلك- متفاوت على تفاوت مقدار الإخلاص في الابتغاء والتثبيت، كما تتفاوت أحوال الجنات الزكية في مقدار زكائها، ولكنها لا تخيب صاحبها[3].

(1) السعدي، عبد الرحمن، تفسير السعدي: 113.

(2) انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير : 3/ 43.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير :3/ 53.

فوائد من المثل:

1- ترويض النفس على فعل ما يشق عليها؛ له أثر في رسوخ الأعمال؛ حتى تعتاد الفضائل وتصير لها ديدناً، وإنفاق المال من أعظم ما ترسخ به الطاعة في النفس؛ لأن المال ليس أمراً هيناً على النفس.

2- امتثال الأحكام الشاقة لا يكون إلا عن تصديق للآمر بها؛ لذا قال:(وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ)، أي تصديقاً لوعد الله، وإخلاصًا في الدين.

3- تشير الآية إلى حكمة خلقية وهي: أن تكرر الأفعال هو الذي يوجب حصول الملكة الفاضلة في النفس، بحيث تتساق عقب حصولها إلى الكمالات باختيارها، وبلا كلفة ولا ضجر.

التناسق بين الأمثال الثلاثة في تحقيق مقصد سورة البقرة

يلحظ المتأمل في الأمثال الثلاثة في السورة (المنافق- الكافر- المنفق)مناسبتهم لمقصد السورة(**إعداد الأمة الإسلامية لحمل أمانة الخلافة في الأرض)**، وترابطهم معاً؛ لبناء مجتمع إسلامي، وخاصة أن السورة من أوائل ما نزل في المدينة، إرشادًا للرسول والمؤمنين إلى كيفية بناء دولة تكون نموذجًا تقوم على الايمان الصادق الذي يجمع بين قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وعدم تقليد الآباء في أفكارهم الضالة والمنحرفة، وإعمال العقول واختيار الإيمان وعدم التقليد الأعمى للأخرين، كما أن السورة أوضحت أن المجتمع يتماسك ويقوى بالإنفاق في سبيل الله؛ لأن المال عصب الحياة ويعمل على تحريك عجلة المجتمع إلى الأمام؛ فجاءت الأمثلة الثلاثة ووضحت المقاصد الرئيسة لسورة البقرة وهي بناء العقيدة في النفوس، وعملت على تحرير العقول من التبعية، وعقدت رابطة الأخوة الإيمانية من خلال الإنفاق على الأخرين وتحقيق التكافل معهم بسد حاجاتهم وبناء المشاريع النافعة للمجتمع، وبذلك تكون الأمثلة تناسبت مع مقاصد سورة البقرة بصورة مبهرة للعقول، مظهرة لجمال نظم القرآن.

المطلب الثاني: المثل في سورة الرعد ومناسبته لمقصدها

هذه السورة تطوف بالقلب البشري في مجالات وآفاق وآماد وأعماق وتعرض عليه الكون كله في شتى مجالاته الأخاذة : في السماوات المرفوعة بغير عمد، وفي الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، وفي الليل يغشاه النهار، وفي الأرض الممدودة وما فيها من رواس نابتة وأنهار جارية، وجنات وزرع ونخيل مختلف الأشكال والطعوم والألوان، ينبت في قطع من الأرض متجاورات ويسقى بماء واحد، وفي البرق يخيف ويطمع، والرعد يسبح ويحمد، والملائكة تخاف وتخشع، والصواعق يصيب بها من يشاء، والسحاب الثقال والمطر في الوديان، والزبد الذي يذهب جفاء، ليبقى في الأرض ما ينفع الناس[1].

إنها تقرب لمدارك البشر شيئًا من حقيقة القوة الكبرى المحيطة بالكون ظاهره وخافيه، جليله ودقيقه، حاضره وغيبه، وهذا القدر الذي يمكن لمدارك البشر تصوره؛ هائل مخيف ترجف له القلوب، وتبهر منه العقول.

مقصد السورة

ذكر العلماء الأجلاء مقاصدًا للسورة، فقال البقاعي – رحمه الله – " مقصودها وصف الكتاب بأنه الحق في نفسه، وتارة يتأثر عنه مع أن له صوتًا وصيتًا وإرعابًا وإرهابًا يهدي بالفعل، وتارة لا يتأثر بل يكون سببًا للضلال والعمى [2].

وقال ابن عاشور – رحمه الله – "أقيمت هذه السورة على أساس إثبات صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أوحي إليه من إفراد الله بالألوهية والبعث وإبطال أقوال المكذبين"[3].

وذكر مؤلفو المختصر في تفسير القرآن أن مقصد السورة :" بيان حقيقة القوة والقدرة الإلهية ومظاهرها"[4].

والذي يظهر للباحث أن هذه المقاصد يجمعها مقصد أساسي وهو:(صدق الوحي) وهو يبين أن القرآن الكريم حق في ذاته، وحق فيما جاء به، وبيان صدق من جاء به.

المثل:

قال تعالى: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ}[الرعد:17].

مناسبة الآيات لما قبلها :

لما شبه تعالى المؤمن والكافر والإيمان والكفر بالأعمى والبصير والظلمات والنور؛ ضرب للإيمان والكفر مثلاً آخر؛ فقال: (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا).

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن : 4/ 2040.
(2) البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر : 10/ 262.
(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير : 13/ 76.
(4) نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، 249.

وقال ابن عطية – رحمه الله – : "صَدْر هذه الآية تنبيه على قدرة الله، وإقامة الحجة على الكفرة به، فلما فرغ ذكر ذلك؛ جعله مثالاً للحق والباطل، والإيمان والكفر، والشك في الشرع واليقين به"[1].

شرح المثل:

هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه، كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس؛ فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع، وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحليّ منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة، ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به، وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهراً، يثبت الماء في منافعه. وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب، والثمار التي تنبت به مما يدّخر ويكنز، وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة، بزبد السيل الذي يرمى به، وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب[2].

وفي الآية مثلان: مثل مائي، ومثل ناري:

مثل مائي: حيث شبه الوحي الذي أنزله الله لحياة القلوب والأسماع والأبصار بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، فقلب كبير يسع علماً عظيماً كواد كبير يسع ماء كثيراً، وقلب صغير إنما يسع بحسبه كالوادي الصغير؛ فسالت أودية بقدرها واحتملت قلوب من الهدى والعلم بقدرها كما أن السيل إذا خالط الأرض ومر عليها احتملت غثاء وزبدا؛ فكذلك الهدى والعلم إذا خالط القلوب أثار ما فيها من الشهوات والشبهات؛ ليقلعها ويذهبها، وهكذا (يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ).

ثم **ذكر المثل الناري** فقال: (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ) وهو الخبث الذي يخرج عند سبك الذهب والفضة والنحاس والحديد؛ فتخرجه النار وتميزه وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به فيرمى ويطرح ويذهب جفاء؛ فكذلك الشهوات والشبهات يرميها قلب المؤمن ويطرحها ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد والغثاء والخبث، ويستقر في قرار الوادي الماء الصافي الذي يسقي منه الناس ويزرعون ويسقون أنعامهم؛ كذلك يستقر في قرار القلب وجذره الإيمان الخالص الصافي الذي ينفع صاحبه وينتفع به غيره [3].

من فقه النبيﷺ لهذه الآية

على نحو هذا التمثيل؛ جاء التمثيل في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية، قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[4].

(1) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق ، المحرر الوجيز: 3/ 307.

(2) الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف: 2/ 523.

(3) انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الأمثال افي القرآن: 12، باختصار يسير.

(4) البخاري، صحيح البخاري/ العلم/ بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ/1/ 27، (79).

مناسبة المثل لمقصد السورة

إنزال الماء من السماء حتى تسيل به الوديان؛ يشهد بقدرة الواحد القهار، وأن تسيل هذه الأودية بقدرها كل بحسبه، وكل بمقدار طاقته ومقدار حاجته؛ يشهد بتدبير الخالق وتقديره لكل شيء، وهو مقصد السورة الذي التئم مع المثل أشد التئام، ووضح به بأقوى برهان.

إن الماء لينزل من السماء؛ فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاء؛ فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان، هذا الزبد نافش راب منتفخ؛ ولكنه بعد غثاء. والماء من تحته سارب ساكن هادئ ؛ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة؛ كذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة، أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص، فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل. ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء.

ذلك مثل الحق والباطل في هذا الحياة؛ فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيًا طافيًا ولكنه بعد زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحًا لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق يظل هادئاً ساكناً. وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات. ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح، ينفع الناس. (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)، وكذلك يقرر مصائر الدعوات، ومصائر الاعتقادات، ومصائر الأعمال والأقوال، وهو اللّه الواحد القهار، المدبر للكون والحياة، العليم بالظاهر والباطن، والحق والباطل والباقي والزائل[1].

فوائد من المثل:

1- جملة (أنزل من السماء ماء) استئناف ابتدائي؛ أفاد تسجيل حرمان المشركين من الانتفاع بدلائل الاهتداء التي من شأنها أن تهدي من لم يطبع الله على قلبه؛ فاهتدى بها المؤمنون[2].

2- قوله (بِقَدَرِها) أي: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضارّ.

3- جاء هذا المثل بشارة ونذارة، بشارة لأهل الحق أن ما يحملون من حق باق دائم، ونذارة لأهل الباطل بأن ما يحملون من باطل زائل بائد.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن : 4/ 2054.

(2) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: 13/ 116.

المطلب الثالث

مناسبة الأمثال في سورة التحريم لمقصدها

تمهيد:

هذه السورة تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول اللّه – ﷺ– وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه! وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته – ﷺ– وفي حياة الجماعة المسلمة كذلك .. ثم في التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول اللّه وبين أزواجه.

الآيات:

قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِين. وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِين. وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين}[التحريم:10-12].

المناسبة بين آيات الأمثال وما قبلها من آيات:

بعد الحض على التوبة النصوح والإيمان والإخلاص وجهاد الأعداء، ضرب الله مثلين رائعين فذّين لأهل الكفر وأهل الإيمان؛ لبيان حال الكافرين بطريق التمثيل أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة أمثالهم من غير مراعاة نسب أو زوجية أو قرابة أو محاباة؛ فتعاقب امرأة نوح وامرأة لوط اللتان كانتا في بيت النبوة، ولكنهما كفرتا بالله وبالنبي، فلم تفدهما الرابطة الزوجية من عذاب الله شيئًا.

وجاء المثل الثاني الأروع للمؤمنين والمؤمنات؛ للإشارة إلى أن من واجبهم أن يكونوا في الإخلاص وصدق العزيمة وقوة اليقين كهاتين المؤمنتين: آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، لا الكافرتين اللتين حين خانتا زوجيهما، لم يغنيا عنهما من عذاب الله شيئا[1].

مقصد السورة:

من أقوال المفسرين في مقصد السورة:

1. قال البقاعي – رحمه الله – الحث على تقدير التدبير في الأدب مع الله، ومع رسوله (ﷺ)، ومع سائر العباد، والندب إلى التخلق بالأدب الشرعي وحسن المعاشرة لا سيما للنساء اقتداء بالنبي (ﷺ) في حسن عشرته وكريم صحبته[2].
2. قال مؤلفو المختصر في التفسير مقصد السورة :" تربية البيت النبوي؛ ليكون أسوة للأسرة والمجتمع"[3].

والذي يظهر للباحث أن مقصد السورة:(بيان الأدب الشرعي في التعامل مع الزوجين في البيت المسلم).

(1) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير: 28/ 325.

(2) البقاعي، إبراهيم، نظم الدرر: 20/ 179.

(3) نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: ص 560.

مناسبة الأمثال لمقصد السورة

1- قال ابن القيم–رحمه الله –في حديثه عن مناسبة أمثال سورة التحريم لمقصدها " وأما المثلان اللذان للمؤمنين **فأحدهما امرأة فرعون**، ووجه المثل أن اتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئًا؛ إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصية الغير لا تضر المؤمن المطيع شيئًا في الآخرة، وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض؛ إذا أضاعوا أمر الله فتأتي عامة، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين، ولم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما وهما رسولا رب العالمين.

المثل الثاني للمؤمنين: مريم التي لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر، فذكر ثلاثة أصناف من النساء: المرأة الكافرة التي لها وصلة بالرجل الصالح، والمرأة الصالحة التي لها وصلة بالرجل الكافر، والمرأة العزب التي لا وصلة بينها وبين أحد: فالأولى لا تنفعها وصلتها وسببها، والثانية لا تضرها وصلتها وسببها، والثالثة لا يضرها عدم الوصلة شيئاً.

ثم في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة؛ فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم –، والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة؛ لم ينفعهن اتصالهن برسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما؛ ولهذا إنما ضرب في هذه السورة مثل اتصال النكاح دون القرابة.

قال يحيى بن سلام: ضرب الله المثل الأول؛ يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة.

وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبار آخر وهو أنها لم يضرها عند الله شيئًا قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين؛ فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق فيه، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها، كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط؛ تحذير لها ولحفصة مما اعتمدتاه في حق النبي – صلى الله عليه وسلم –[1].

فتضمنت هذه الأمثال التحذير لنساء النبيﷺ والتخويف لهن من ان يطردن من بيت خير البشر فيحرمن من خيريته، وزواجهن منه في الجنة، والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد، والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه وهي حبيبة الحبيب عائشة – رضي الله عنها– .

2- ولما كانت السورة في تربية بيت النبوة على الآداب الشريفة التي تناسب مقامه الشريف وخاصة منها حفظ السر والتي أفشته أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها–؛ ذكر الله مثالًا لمن لم يحفظن السر من زوجات الأنبياء وهن زوجة نوح عليه السلام وزوجة لوط عليه السلام وخيانتهما لزوجيهما بإفشاء السر لأعدائهم ومصيرهن؛ تحذيراً وتخويفاً لأمي المؤمنين من أن ينالا نفس المصير.

(1) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الأمثال في القرآن: 57.

3- أن السورة قد عرضت لمواقف كانت من أزواج النبي- ﷺ- وقد كادت هذه المواقف تخرجهن من بيت النبوة، وتحرمهن هذا المكان الكريم اللائي هن فيه، محفوفات برحمة الله ورضوانه-؛ فناسب ذلك أن تجيء هنا تلك الآيات التي تعرض أحوالًا مختلفة لبعض النساء، حيث كان بعضهن في بيت النبوة، فلما لم يستقمن على طريق الحق والخير، أخذهن الله ببأسه، وألقى بهن خارج بيت النبوة، يتخبطن في ظلمات الضلال والكفر، وكانت عاقبتهن الخسران، والوبال، والعذاب في نار جهنم، ولم يغن عنهن حرم النبوة اللائي تحصنّ فيه ظاهرًا، وهتكن ستره باطنًا[1]، وقد عصمهما الله عن هذا المصير؛ بما وقع منهما من التوبة الصحيحة الخالصة- رضي الله عن أمهات المؤمنين.

فتأمل كيف زاد ضرب المثلين الموعظة وضوحًا، وزاد التنويه بالمؤمنين استنارة، فما أعظم أفانين القرآن.

فوائد من ضرب الأمثال في السورة:

ضرب الأمثال في السورة مشتمل على فوائد متعددة لا يعرفها بتمامها إلا الله تعالى منها:

1- العلم بأن صلاح الغير لا ينفع المفسد، وفساد الغير لا يضر المصلح.

2- أن الرجل وإن كان في غاية الصلاح فلا يأمن المرأة، ولا يأمن نفسه، كالصادر من امرأتي نوح ولوط.

3- العلم بأن إحصان المرأة وعفتها مفيدة غاية الإفادة، كما أفاد مريم بنت عمران، كما أخبر الله تعالى، فقال: إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك [آل عمران: 42].

4- التنبيه على أن التضرع بالصدق في حضرة الله تعالى وسيلة إلى الخلاص من العقاب، وإلى الثواب بغير حساب، وأن الرجوع إلى الحضرة الأزلية لازم في كل باب، وإليه المرجع والمآب، جلت قدرته وعلت كلمته، لا إله إلا هو وإليه المصير[2].

5- حث للمؤمنين على الصبر في الشدة، أي لا تكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون[3].

6- أن قول امرأة فرعون (رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) فيه دليل على أنّ الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل؛ من سير الصالحين، وسنن الأنبياء والمرسلين [4].

7- أن قوله {وَكَانَتْ مِنَ القانتين} أي من عدادِ المواظبينَ على الطاعةِ، والتذكيرُ للتغليبِ والإشعارِ بأنَّ طاعتها لم تقصُرْ عنْ طاعاتِ الرجالِ حتى عُدَّت مِنْ جُملَتهم أو مِنْ نَسلِهم؛ لأنَّها من أعقابِ هارونَ أخِي مُوسى عليهما السلامُ[5].

8- ختم السورة بذكر مريم بعد ما ذكر امرأة فرعون، وهما من جملة النساء، ولمّا كثر في هذه السورة ذكر النساء أراد الله سبحانه ألّا يخلى السورة من ذكرها تخصيصاً لقدرها [1]، وقد قرن النبي ﷺ بينهما في الحديث الذي رواه الإمام

(1) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآن للقرآن : 14/ 1039.

(2) الرازي، أبو عبد الله، تفسير الرازي: 30/ 576.

(3) القرطبي، أبو عبد الله، تفسير القرطبي: 18/ 203.

(4) الزمخشري، أبو القاسم محمود، تفسير الزمخشري: 4/ 573.

(5) العمادي، أبو السعود، تفسير أبي السعود :8/ 270.

البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء: إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)[2].

9- أن احتكاك الشر بالخير، كثيراً ما تتولد عنه دوافع قوية، تغرى الخير بالتشبث بموقفه، وإطلاق جميع القوى الكامنة فيه؛ لدفع هذا الخطر الذي يتهدده، وإنه لولا هذا الاحتكاك، بين الشر والخير، لظلّت كثير من قوى الخير كامنة، ساكنة أشبه بالطيب فى العود، لا يفوح طيبه إلا عند حكه أو عرضه على النار، كما يبدو ذلك فى امرأة فرعون، وهذا يعنى أن ما يبتلى به المؤمنون، الذين صدق إيمانهم، هو تثبيت لهذا الإيمان، وإظهار لكرم جوهره، وصفاء عنصره[3].

10- أن قوى الشر كلها مجتمعة، لا تستطيع أن تطفئ شعلة الإيمان التي احتواها قلب مؤمن، وإن استطاعت أن تخمد أنفاس هذا المؤمن، وتزهق روحه.. وهذه امرأة فرعون، تقهر بإيمانها جبروت هذا الجبار، وتذلّ كبرياءه، وتلفظه زوجاً، وتلفظ سلطانها، ملكة غير آسفة عليه، أو على سلطانها، أو حياتها، فى سبيل الاحتفاظ بهذه الشعلة المقدسة من نور الإيمان، مضيئة فى قلبها[4].

11- أنه خصا (نوح ولوط) بوصف «عبدين صالحين» مع أن وصف النبوة أخص من وصف الصلاح؛ تنويها بوصف الصلاح وإيماء إلى أن النبوة صلاح؛ ليعظم بذلك شأن الصالحين، ولتكون الموعظة سارية إلى نساء المسلمين في معاملتهن أزواجهن، فإن وصف النبوة قد انتهى بالنسبة للأمة الإسلامية، مع ما في ذلك من تهويل الأذى لعباد الله الصالحين وعناية ربهم بهم ومدافعته عنهم[5].

12- أن مناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط؛ ليكون في ذكرهما عقب ما سبق من تمالؤ أمي المؤمنين على زوجهما صلى الله عليه وسلم؛ تعريض لطيف بالتحذير من خاطر الاعتزاز بغناء الصلة الشريفة عنهما في الوفاء بحق ما يجب من الإخلاص للنبي صلى الله عليه وسلم ليكون الشبه في التمثيل أقوى[6].

13- التنبيهً على أنه لا يغني أحد في الآخرة عن قريب ولا نسيب؛ إذا فرق بينهما الدين[7].

14- تذكير للمشركين ومن على طريقتهم إلى يوم الدين "بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عند الله، ولا أن مكانهم من جوار بيته وعمارة مسجده وسقاية حجيجه تصرف غضب الله عنهم، فإن هم أقلعوا عن هذا الحسبان؛ أقبلوا على التدبر في النجاة من وعيده بالنظر في دلائل دعوة القرآن وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو كان صارف يصرف الله عن غضبه؛ لكان أولى الأشياء بذلك مكانة هاتين المرأتين من زوجيهما رسولي رب العالمين[8].

---

(1) القشيري، عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات: 609/3.

(2) البخاري، صحيح البخاري: أحاديث الأنبياء/قول الله تعالى {وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون} [التحريم: 11]- إلى قوله - {وكانت من القانتين} [التحريم: 12]/ 4/ 158، (3411).

(3) الخطيب، عبد الكريم، التفسير القرآن للقرآن : 14/ 1039.

(4) المرجع السابق.

(5) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: 28/ 375.

(6) المرجع السابق: 28/ 374.

(7) تفسير القرطبي:18/ 201.

(8) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: 28/ 374.

15- أن المؤمنين لا تضرهم مخالطة الكافرين؛ إذا كانوا محتاجين إليهم[1].

وبذلك يتضح للمتأمل أن الأمثال في القرآن أدوات للتنوير والتبصير؛ فإذا كانت مدحًا؛ كانت أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم، وإن كانت ذمّاً، كان مسّها أوجع.

وبهذا أكون قد أنهيت البحث،

نسأل الله القبول الحسن

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي وفقني لإعداد هذا البحث، ونسأل الله القبول الحسن.

وكانت اهم النتائج والتوصيات:

1- من أبدع أساليب التفنن في القرآن الكريم؛ ضرب الأمثال.

2- ضرب الأمثال في القرآن له فوائد جمة منها: إبراز خبيات المعاني، والتأثير في القلوب، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، وإدراك الحقائق الخفية، وفهم الأمور الدقيقة، ومطابقة ما في العقول بالمشهود فيزداد اليقين، وسهولة شيوعه بين الناس ليذكرهم بالحال التي قيل فيه.

3- يوجد ارتباط وثيق ومناسبة وطيدة بين الأمثال في السورة ومقصدها تبرز جلية لمن تأملها.

4- التناسق بين الأمثال في السورة الواحدة؛ يحقق مقصد السورة بصورة تنير العقول، وتبرز جمال نظم القرآن.

التوصيات:

أوصي الباحثين وأقسام القرآن وعلومه بما يلي:

1- القيام بدراسة علمية في مناسبة الأمثال لمقاصد سور القرآن على مستوى القرآن كله.

2- أن يتبنى قسم القرآن وعلومه القيام بدراسة أفانين السورة القرآنية من الكلمات، والجمل، والقصص، والأمثال، والحكم، والأحكام، والمواعظ، وأسماء الله الحسنى، ودلالتها على مقصد السورة؛ حسب تقسيم سور القرآن (الطوال- المثاني- المئين – المفصل).

(1) انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم: 8/ 172.

فهرس المراجع

1. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (1984م)،*التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر.
2. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام،(1422هـ)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط (1)، بيروت، دار الكتب العلمية.
3. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين،(1399هـ - 1979م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، بيروت، دار الفكر.
4. ابن قيم الجوزيَّة، محمَّد بن أبي بكر بن أيوب، (د.ت)، *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلميَّة.
5. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1394هـ)، طريق الهجرتين وباب السعادتين، القاهرة، مصر، دار السلفية.
6. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين،(1411هـ - 1991م)،*إعلام الموقعين عن رب العالمين*، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
7. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الأمثال في القرآن، (1406 هـ - 1986 م)، ط(1)، مصر، طنطا، مكتبة الصحابة.
8. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (1416هـ - 1996م)، *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط (3)، بيروت، دار الكتاب العربي.
9. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (1414ه)، *لسان العرب*، ط(3)، بيروت دار صادر.
10 أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ،(د.ت)،*تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»*، ، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
11 أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي،(1420هـ)،*البحر المحيط في التفسير*، ، المحقق: صدقي محمد جميل، د. ط، بيروت، دار الفكر.
12 آل سعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد،(1422هـ)، *تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن*، الطبعة: الأولى، المملكة العربية السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
13 الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني،(1415هـ)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط (1)، بيروت، دار الكتب العلمية.
14 البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،(1422هـ)، *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري*، ط (1)، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
15 البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر،(د. ت)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، د. ط،

القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

16 الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى (1395هـ - 1975م)*سنن الترمذي*، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، ط(2)، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

17 جماعة من علماء التفسير، *المختصر في تفسير القرآن الكريم*،(1436هـ) ، ط (3)، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض،.

18 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف،(1412هـ)*المفردات في غريب القرآن*، المحقق: صفوان عدنان الداودي، ط (1)، بيروت، دار القلم.

19 رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني،(1990م)*تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)*، د.ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

20 الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي،(1376هـ - 1957م)*البرهان في علوم القرآن*، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

21 الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله،(1407هـ)*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط (3)، بيروت، دار الكتاب العربي.

22 السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،(1408 هـ - 1988 م)*معترك الأقران في إعجاز القرآن*، *ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)*، الطبعة: الأولى، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

23 الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي(1417هـ- 1997م)، ***الموافقات*** المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط (1)، السعودية، دار ابن عفان.

24 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري،(1384هـ - 1964م)*الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي*، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط (2)، القاهرة، دار الكتب المصرية.

25 القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (د.ت) *لطائف الإشارات = تفسير القشيري*، المحقق: إبراهيم البسيوني، ط (3)، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

26 قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي،(1412هـ)، *في ظلال القرآن*، ط (17)، القاهرة، دار الشروق.

27 الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الحنفي،(د.ت)*الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية*، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة.

28 مسلم، أبو الحسن القشيري النيسابوري،(د.ت)*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

29 مسلم، مصطفى،(1426هـ - 2005م)، *مباحث في إعجاز القرآن*، ط (3)، دمشق، دار القلم.